بنية العنوان " الوظيفة والدلالة" في الشعر العراقي المعاصر، الشاعر شلّال عنّوز في ديوانه (السماء لم تزلْ زرقاء) ... مثالاً.

(Function and Significance) In the modern Iraqi poetry , the poet Shallal Annooz in his poetic collection (The Sky is still Blue).. as example .

أ . د . محمد عويد محمد الساير .

(جامعة الأنبار- العراق)

الملخَّص :

هذا عمل بحثي جديد يتناول شعر الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء)، تناول البحث هنا دراسة وظائف العنوان في هذا الديوان الشعري الذي يتسمّ بالتفاؤل ويرسم الأمل ويغنّي فيه الشاعر للحياة والفرح والطرب. لقد نحى الشاعر منحىً جديداً في شعره وقصائده هنا اختلفت عن باقي دواوينه الشعرية إذ انتابها الحزن وشابها الألم . ديوان (السماء لم تزل زرقاء) انكشف عن قصائد كثر وعن عناوين كثر لهذه القصائد تنوّعت وظائف ومدلولاتها من الإنزياحية إلى النحوية إلى الانفعالية إلى الاتصالية إلى الرمزية. ورأيت في بحثي هنا الاقتصار على الشواهد المميزة التي تدخل في صميم فهم العنوان وفهم وظيفته وما يريده الشاعر شلال عنّوز برّمته. وأمّا عن المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج الفني النقدي المهني الذي يحاور النص بعيداً عن أيّ مؤثر آخر مهما كان، متمثّلاً العنوان وكيف يريده الشاعر أن يكون وكيف لوظيفته أن تتسق وتظهر مع لوحات النص وغرضه ومضمونه ، والله الموفق.

الكلمات الافتتاحية: العنوان – الوظيفة الدلالة-، وظيفة أولى، وظيفة ثانية، وظيفة ثالثة، وظيفة رابعة.

Research summary :

This is an a new research work deals with the poetry of the Iraqi modern poet Shallal Annoz in his collection(the sky is still blue) , this research studies the function of the title in this collection which characterized by optimism and draws hope where the poet sings for life , happiness and for joys . Here the poet takes a new direction in his poetry which differs from his other poems and collections that characterized by sadness and pain . This collection (The Sky is still Blue) shows many poems and many titles for these poems which its functions and its significance varies from displacement , grammatical , emotionality , communication and symbolism . Here I saw in my research the focus on the distinctive evidence that is at the core of understanding the title and understanding its function and what the poet wants the entire wants . On the other hand the followed approach in this research is the professional ,critical artistic approach which discussed the text away from any other influence whatsoever . looking to the title and how the poet wants it to be and how its function consistent with the text images , aim and content . And Allah is the Grantor of success.

The Opening speeches : The Title – Significant function , The First function , The Second Function , The Third function , The fourth Function .

مقدِّمة :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وبه نستعين في الأقوال وفي الأفعال أجملها،

وبعد،

هذا عمل بحثي جديد يتناول شعر الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء)، والشاعر أكبر من أن يُعرّف به أو يُحدث عنه في مقدمة أو تمهيد، ولقد كتب عنه الكثيرون من الدارسين والنقاد والأدباء من أبناء عصره وبلده ومن العالم المحيط به المعرّف بسيرة الأدباء والشعراء في زمنه [1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى تناولت مثل هذه السيرة وحنو تلك في دراساتي ومقالاتي السابقة عن الشاعر وشعره في دواوين هذا الشاعر المُنتَج المطبوع المشهور المتنوع[2] وصنوها. ورغبة مني في اتمام البحث والنقد والتقصي والتحليل في نصّ الشاعر شلال عنّوز في دواوينه المختلفة التي أتملكها مهداة من جانبه الكريم، وتأصيلاً لأثره ومكانته الشعرية والأدبية السامقة بين أبناء عصره من الشعراء داخل العراق وخارجه أحببتُ أن يكون البحث هنا عن وظيفة العنوان ودلالته في شعر الشاعر شلال عنّوز من خلال ديوانه(السماء لم تزل زرقاء) إذ تناولت التشكيل المعرفي والثقافي لعناوين قصائده(الشاعر وسفر الغريب) في بحث سابق، كما إني تناولت دراسة اللغة الشعرية في ديوانه الشهير (ويبكي الماء) علّ هذه الدراسات والأبحاث تكون مفتاحاً لدراسات أدبية ونقدية حديثة تتناول المنجز الأدبي الإبداعي لشعر الشاعر ورواياته ولعلّها تساهم أيضاً في ابراز الحركة الأدبية في العراق ولاسيما الحركة الشعرية في دراستنا لواحد من أعمدة هذه الحركة، ولقامة من قاماتها الشعرية في عصرنا الراهن. لقد تناول البحث هنا دراسة وظائف العنوان في هذا الديوان الشعري الذي يتسمّ بالتفاؤل ويرسم الأمل ويغنّي فيه الشاعر للحياة والفرح والطرب. لقد نحى الشاعر منحىً جديداً في شعره وقصائده هنا اختلفت عن باقي دواوينه الشعرية إذ انتابها الحزن وشابها الألم وغُلّفت بمشاعر الاغتراب الحقيقية وبكى لها الجميع لما حدث ويحدث في بلده وسائر البلدان العربية من ويلات ونكبات ومآسٍ.(السماء لم تزل زرقاء) انكشفت عن قصائد كثر وعن عناوين كثر لهذه القصائد تنوّعت وظائف ومدلولاتها من الإنزياحية إلى النحوية إلى الانفعالية إلى الاتصالية إلى الرمزية. ورأيت في بحثي هنا الأقتصار على الشواهد المميزة التي تدخل في صميم فهم العنوان وفهم وظيفته وما يريده الشاعر شلال عنّوز برّمته. وأمّا عن المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج الفني النقدي المهني الذي يحاور النص بعيداً عن أيّ مؤثر آخر مهما كان، متمثّلاً العنوان وكيف يريده الشاعر أن يكون وكيف لوظيفته أن تتسق وتظهر مع لوحات النص وغرضه ومضمونه ، والله الموفق.

الكلمات الافتتاحية: العنوان – الوظيفة الدلالة-، وظيفة أولى، وظيفة ثانية، وظيفة ثالثة، وظيفة رابعة.

إضاءة أولى: في التعريف بالعنوان ووظائفه ودلالاته:

ليس من وكد البحث أو منهجيته التوغل بعيداً في شرح ماهية العنوان وأهميته ودلالاته في النص الأدبي. ولاسيما في النص الشعري ولاسيما كذلك النص الشعري المعاصر، إذ أطنب الكثير من الدارسين والباحثين والنقاد في الحديث[3] عن ماهية العنوان ووظائفه ودلالاته مع كلّ نصّ شعري يدروسنه، أو مع شعر كلّ شاعر ينثالون عليه بالدراسة والتحليل والنقد، وحتى في النصوص الأدبية الإبداعية الأخرى مثل: الرواية، والقصة بفنونها، والمسرحية. فالعنوان يأتي في الدراسة والبحث بكلّ هذه الأهمية لأنه أول ما يصافح ذهن المتلقي ويرشده إلى ما في النص من وظائف ودلالات، كما إنه المفتاح الأول لمشاعر المبدع وما يريده من نصّه الإبداعي، إذ هو - غالباً- ما يكون(رسالة لغوية تعرّف بهوية النص وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه وتغويه به)[4]. ومن هنا فعنوان أيّ نصّ ادبي إبداعي لا يوضع اعتباطاً أو جزافاً أو يأتي بأية طريقة عبثية عفو الخاطر، وإنما هو(المفتاح الإجرائي الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره، وتشعباته)[5]. ومن هنا ومن هذا المفهوم فالعنوان يرتبط بالنص الإبداعي الأدبي ارتباطاً جدلياً فهو يولد من رحم ذلك النص، ويكوّن العلائق المشيمية المترابطة في البناء والتعبير والتفكير والدلالة بين المبدع – مهما كان نوعه إبداعه الأدبي- وبين المتلقي – مهما كانت ثقافته ولغته-. ولذا تزداد وظائف العنوان في النص الأدبي الإبداعي وضوحاً وجلاءً إذ عرفنا أن للعنوان الفاعلية الكبرى في البوح عن مشاعر الشاعر –في النص الإبداعي الشعري- وما يريد الشاعر إيصاله إلى المتلقي عبر اللغة الشعرية وعبر فنون التصوير وأنواع الإيقاع والبنى التركيبية النحوية التي لا غنى لها عن العنوان، وليس للعنوان غنىً عنها أيضاً ولذا عد العنوان(جزءاً من استراتيجية النص، لأن له وظيفة في تشكيل اللغة الشعرية ليس بوصفه مكملاً أو دالاً على النص ولكن من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال)[6]. ومن هنا شاعت في الدرس النقد الأدبي كثيرٌ من وظائف العنوان من مثل الوظيفة المرجعية(الإحالية)، والوظيفة الانفعالية، والوظيفة التأثيرية، والوظيفة التواصلية، والوظيفة الإنزياحية... وغير هذه الوظائف[7]. وعلى الأديب ألحاذق أن يفهم ماهية العنوان وأهميته ووظيفته ويعرف كيف يستثمرها حين الاختيار ليأتي نصّه الأدبي الإبداعي مُنسّق ألصنعة شديد الإحكام من أول هذه العتبة المركزية← الرئيسة، عنوان النص الكامل أيّ عنوان الديوان الشعري، أو عنوان الرواية، أو عنوان المجموعة القصصية القصيرة أو عنوان المجموعة القصصية القصيرة جداً، أو في التفرعات الداخلية للعناوين الفرعية العتبات الثانوية التي تأتي متداخلة مع المضمون الأدبي . الشعري أو النثري- وتشكل المضامين العامة والأهداف الكبيرة التي يشير إليها العنوان الأول، والعتبة المركزية الرئيسة، فالعنوان الرئيس أو الفرع من (أهم العناصر المكوّنة للمؤلّف الأدبي ومكوناً داخلياً يشكل

قيمة دلالية عند الدارس حيث يمكن اعتباره ممثلاً لسلطة النص وواجهته الإعلامية التي تُمارس على المتلقي، فضلاً عن كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه)[8]. كما أن العلامة والأنظمة الدلالية التي تحمل في طياتها قيماً أخلاقية واجتماعية وايديولوجية[9]، ومن هنا استأثر بهذه الأهمية كلّها، وبهذه الدراسات كلّها، وأنفتق عن هذه الوظائف كلّها التي سنراها جلياً وتميزاً إن شاء الله تعالى- في ديوان(السماء لم تزل زرقاء) للشاعر العراقي المعاصر الكبير شلال عنّوز, وسنحاور وظائفه العنوان لنصوصه الشعرية الكثيرة التي احتجنها ديوانه الشعري هذا، ما في هذه الوظائف من دلالات وعلامات واشارات أباحت عن هذه مشاعر وعبّرت عن تجربته الشعرية الشعورية على حدٍّ سواء.

• وظيفة أولى ، الوظيفة الإنزياحية في عناوين ديوان (السماء لم تزلْ زرقاء).

إنّ دراسة أيّة وظيفة من وظائف العنوان ستكشف حتماً عن أبعاد النص الإبداعي وتساهم هذه الدراسة في كشف مرامي النص المختلفة ودلالاته الكثيرة التي يريدها المبدع من إنشاء إبداعي الأدبي ولاسيما مع النص الشعري الذي هو نصٌّ . على الاغلب . خيالي وشعوري وعاطفي يتأثر بأنساق الحياة الخارجية والداخلية للشخص المبدع في آن واحد. ودراسة العنوان في أيّ نصّ شعري على وفق الوظيفة الإنزياحية اللغوية هي دراسة بالغة الأهمية، واسعة المضامين، فالعنوان . من خلال هذه الوظيفة . يؤسس لشعرية عالية ومنظمة تستفزُّ مخيلة المتلقي، وتجعله يدور في دوّامة التأويل، وتستفزّ كفاءته التأويلية والشعورية والقرائية[10] حين يكون الشاعر مبدعاً في اختيار عنوانه، وحين يكون العنوان مُحكماً لغوياً ودلالياً وبنائياً إلى حدٍّ كبير. ولا شك في إن الإنزياح . لغة واصطلاحاً ودراسة ومفاهيم – يقوم على وفق التفسير السيمائي لأيّ عنوان يختاره المبدع لنصّه الشعري أو لغيره من النصوص الأدبية التي يبدع فيها ويكتب أو ينظم فيها، فهو بهذا المفهوم السيمائي←اللغوي يقوم على ثنائيات مترابطة في الفكر والعلاقة في النص، كالغائب مقابل الحاضر، والعيني مقابل الخيالي، وغير ذلك مما يشكّل خرقاً للغة الشعرية أو الإبداعية ولنظامها الجملي التركيبي[11]. هذا فضلاً عن المفارقات الكثر التي ستكوّن من خلال هذا الترابط الثنائي، ومن خلال تلكم المفارقات، وهي التي تحضّر الذهن وتبني النص تأويلياً وتستفزّ المتلقي . كما أسلفت- وتجعله في تجربة الشاعر الشعورية والشعورية من أول العتبة المركزية . العنوان- إلى نهاية النص. في ديوان(السماء لم تزل زرقاء) للشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز، يكشف العنوان الرئيس والعتبة المركزية الأولى عن ذلك الأفق الرحب، وعن تلك السماء الصافية بلونها الازرق وبدلالة هذا اللون في الخلود والبقاء والسِعة[12]. وهنا ما يشكل روحاً خفيفة، ونفساً إنسانية صافية ولاسيما وإن الشاعر شلال عنّوز ابقى هذه السماء زرقاء، وأبقى على صفات اللون نفسياً وسيمائياً وشعورياً حين أراد له الدوام والثبات.. فالعناوين التي ستأتي في قصائد الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا هي عناوين برّاقة اللون، صافية المشاعر، دافئة الاحساس، طيبة المشاعر تبعث على الأمل والتفاؤل، وتبثّ الروح والحركة، وتثير الصفاء والنقاء بين الذات الشاعرة وبين الآخر، وبين الواقع، وبين

الحدث، بين الماضي والحاضر والمستقبل. العنوان الأول والعتبة المركزية الرئيسة(السماء لم تزل زرقاء)، عنوان إنزياحي الوظيفة والدلالة فهي جرحٌ للغة الشعرية، وهي إثارة للقارئ باللون وبالنحو وما يفعله الجزم والنفي والقطع في الأداة(لم)، ولك أيّها القارئ الكريم أن تتصور جملة المشاعر وأن تشارك المبدع في عنوانه الإنزياحي الدلالي النحوي، وأن تتصور مشاعره الكبيرة ما دام العنوان مُستفزّاً ومثيراً دالاً على تجربة الشاعر، التجربة الفرحة المرحة في الصفاء والنقاء والألوان والرومانسية الدافئة وما تبعثه في النفس التجربة دائماً، وأبداً. ستكون مثل هذه السطور التنظيرية النقدية معنا في هذا البحث مع كلّ وظيفة نتناولها أيّ إننا سنتحدث عن وظيفة العنوان الرئيس والعتبة المركزية الأولى لعنوان الديوان(السماء لم تزل زرقاء) بدء حديثنا ونقدنا وتحليلنا لأيّة وظيفة من وظائف عناوين الشاعر شلال عنّوز الداخلية لقصائد هذا الديوان ونصوصه الشعرية التي احتجنه. فهذا العنوان الرئيس الأول(السماء لم تزل زرقاء) من البداهة أن يحوي الوظائف والدلالات كلّها التي ستثيرها عناوين القصائد الداخلية والفرعية وهو المبطّن لهذه المشاعر والاحاسيس والعواطف عند الذات الشاعرة لأيّة قصيدة ولأيّ عنوان ومن ثم لأيّ وظيفة ولأيّة دلالة يكشف هذا العنوان أو ذاك.. أو غيرها في عناوين القصائد في ديوان(السماء لم تزل زرقاء). إنَّ نظرة نقدية تحليلية فاحصة في العناوين الداخلية ← الفرعية لقصائد الشاعر شلال عنّوز في ديوانه الشعري(السماء لم تزل زرقاء)، تكفينا همّنا بالقول إن الوظيفة الإنزياحية الجارحة للنحو واللغة الشعرية بادية من أول العنوان الشعري، وأن اللوحات الشعرية القصيرة البسيطة في التصوير والتعبير والإيقاع الموسيقي تتكاتف مع العنوان لإبراز هذه الوظيفة المهمة، وتكشف الابعاد السيمائية للنص الشعري من خلالها كما إنها تُثير ذهن القارئ والمتلقي وتستفز مشاعر وذاكرته ليتابع النص لوحة لوحة، صورة صورة، موضوعاً موضوعاً من أول العنوان ومن أول ما يحتويه من انزياحيات وجراح دامية للغة وتأكيد لصفة الأدب ولاسيما في نصّه الشعري الحديث والمعاصر وعقوقه لأمة اللغة ولسماتها التركيبية وقواعدها النحوية والصرفية واللغوية. خذ مثلاً عنوان قصيدة الشاعر شلال عنّوز من ديوانه(السماء لم تزل زرقاء)←(نواعير الحكاية)[13].هذا العنوان انزياحي اجتراحي للغة وما فيها بكلّ ما تحمله كلمة الإنزياح من دلالات ومفهومات يعرفها القارئ والدارس والناقد في عصرنا الراهن. أن النواعير التي يقوم عملها على الماء وما فيه من زرقة وما فيها من صوت حنون وعبرة مستقاة من هذا الصوت هي الوظيفة الرسمية والمباشرة للعنوان الفرعي الداخلي لهذه القصيدة ولهذا النص. أمّا الحكايا فكمنت في تلك المشاعر كلّها التي تعتلي الشاعر وهو يسمع بالنواعير وحركته وعمله ويشاهده وينقله إلينا كما سمعه وشاهد حركته وعمله، القصيدة قصيرة ومضة سحرية لغوية دلالية إيقاعية تقوم على حكايا لما يُعرف به الناعور، وتعرف بع النواعير. إن صيغة الجمع في (حكايا) وفي (نواعير)، أوقعتا مفارقة ضدية← إنزياحية يجرح للغة المعتادة فالحكايا كثر والقصيدة قصيرة، والنواعير كثر في العمل وفي المنشأ وفي المكان وفي الأصوات وفي الدلالات المنفتحة من كلّ هذه المسميات وما توحي إليه وما ترمز به، ولكنها في النص قلّة تومئ

وترمز وتنحَصر الكثير الكثير من المسافات بين القارئ وبين المبدع نتيجة دقة العنوان شعرياً، ولوظيفته الإنزياحية التي أوصلت ما يريده الشاعر إلى متلقيه بأبسط اللغة والألفاظ وبأقصر اللوحات والمعاني والصور. يقول في قصيدته هذا:

وهي تومئُ لتضاريس
الوقتَ المُستباح
أن تتعجّل التهجّد
كانت المتاريس المؤقلة
تبثُّ شغبها راعضةً
في نواعير الحكايا
... فيسقط الصبحُ جريحاً
يشربُهُ الذهول
حيث الأسنة والحراب وذاك...
الغراب الخلابي
ينقرُعين النهر
بمنقارٍ من قار
والأمنيات
ما زالت قاعاً
صفصفاً.[14]

كم تلحظ معي أيّها القارئ الحصيف عمق مشاعر الذات الشاعرة المفرحة المتفائلة بالخير حتى مع الغراب المشؤوم المحزن في المنظر وفي اللون وفي الشكل وفي الصوت. رسم له الشاعر شلال عنّوز صورة مغايرة جعله بشكل الطف وبمنظر ابهى حتى يكون منسجماً مع مظاهر الطبيعة الحية والصامتة الكثر التي اجتاحت النص وجعلته في فرح دائم وتفاؤل مستمر من أول العنوان الذي أباح بحكايا النواعير الفرحة عن المشاعر الفرحة عن السماء وزرقتها عن الماء وزرقته، وهذه هي الوظيفة الإنزياحية للعنوان، وهذه هي الدلالات التي تكشّفت وظهرت من خلال هذه الوظيفة للعنوان الداخلي الفرعي للنص الشعري(نواعير الحكايا) وما فيه من مفارقة ضدية مجترحة للغة الشعرية حتى في ترتيب الكلمتين فالأصل(حكايا النواعير)؟! وهي الدلالات التي تكشّفت وظهرت للعنوان الخارجي الرئيس في(السماء لم تزل زرقاء)، تركيباً وبناءً وقيمة تأويلية سيمائية. في عنوان قصيدته الأخرى التي ساقف عليها في هذه الوظيفة من الوظائف للعنوان في ديوان الشاعر شلال عنّوز(السماء لم تزل زرقاء)، هي قصيدته التي عنوانها(عندما يشربني الصباح). والعنوان يعكس إنزياحاً لغوياً واضحاً يمتاز بالأمل، ويوافق بداهة الأشياء وحركتها في البدء الباكر للنهار، وفي الساعات الأولى ليوم الإنسان المعيش.. ماذا سيكون بعد هذا الشرب الصباحي، الغبوق القهوة

الشاي... إنها سمة الشعراء في الغداة، وإنها ثقافة الشاعر شلال عنّوز لغواية المتلقي بقراءة قصيدته هذه، بعد أن يجد نفسه أمام بنية انزياحية صادمة مقلقة يروم البحث بنفسه عمّا في لوحات القصيدة وفي مضامينها وفي لغتها الشعرية التي ستشكّل هذا الشرب، وسترسم هذا الصباح هو يقول في المفتتح البهي الجميل الذي يعبر عن حقيقة المشاعر تجاه الصباح المستقر نوعاً ما بالسعادة والإنفراج من قتامة الليل، وبالحركة والحياة والسرور:

عندما يشربني الصباح...
أُمَسّدُ جناحَهُ الفضيّ
بأيقونةِ الفلاح
وازقُّ فيهِ سُلافَةَ
بوحي لصوفي
ليُمطرَ
تر اتيل سماوية
تزخرُ بالأمنياتِ
المُخضرّةِ بالعشق
الذي لا يرحل...[15]

اللوحة كلّها انزياحيات x انزياحيات. كلّها تتبع سحر هذا الزمن ونشوة اللقاء معه، وتنفتح الدلالات الشعرية على كثير من الأعمال المبهجة التي تُشعر بالأمل والراحة والإطراب نتيجة بزوغ هذا الصباح بيوم جديد وبأمل جديد وبابتسامة جديدة. (الجناح الفضي، البوح الصوفي، التراتيل السماوية، المطر الخيّر، اخضرار العشق، الأمنيات الباقية، سلافة الغبوق) هذه التعابير الشعرية الرائعة وما تحمله من المسرات، أمّا تكفي لتأكيد العنوان شعرياً أم تكفي لأصالة هذا العنوان المبهج المطرب الفرعي الداخلي الذي يتداخل ويتعاضد مع العنوان الرئيس والأول(السماء لم تزل زرقاء) في تشكيل الوظيفة الإنزياحية لهذه العناوين وتقديمها بأهميتها ودلالاتها بطبقٍ شعري لغوي خالص محببٍ إلى المتلقي؟!؟! إذا لا تكفي وربما قد لا تتضح الصورة جلية لما أردت وأريد من كشف النقاب عن هذه الوظيفة من وظائف العنوان عند الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا، آتي بخاتمة النص الشعري هذا لعلّ فيها تأكيداً آخر لما قلت واسلفت، ولعلّ فيها ما يكفي القارئ والمتلقي همومه ومبتغاه لكشف العلاقة السرمدية بين وظيفة العنوان ولوحاته الشعرية، وبين وظيفة العنوان الفرعي ووظيفة العنوان الرئيس. يقول الشاعر شلال عنّوز في خاتمته الشعرية لنصّه(عندما يشربني الصباح):

أنا والصباحُ
تومأن
مُنذ الازل

هو يغنّي
بالإشراق
و أنا أُهديهِ
عذب لحني
وعزف قيثاري
نحن الاثنانِ
عاشقانِ
لمعشوقٍ ازلي[16]

هذي هي الخاتمة لنصّ الشاعر شلال عنّوز(عندما يشربني الصباح). الخاتمة والافتتاحية وما بينهما من لوحات شعرية كلّها تدل على الفرح والبهجة والإطراب إيذاناً بهذا الصباح الجميل المطرب، وإيذاناً بهذا الشرب← الفعل الجميل الحسن منذ الصباح الباكر. وهذه(عندما) هي التي أزاحت نحوياً وظيفياً دلالة العنوان وجعلته يضم كلّ هذه الطاقة الشعورية التأويلية له ولما في النص الشعري من لوحات رسمت ملامح رضا الشاعر في صباحه المبكر، وأوقات نهاره الأولى. إنّ تجليات العنوان شعرياً ووظيفياً من خلال الوظيفة الإنزياحية بانت في كلمة عندما وفي انفتاح الوقت والزمان الشرطين المتلازمين في التركيب والإشارة والقاعدة النحوية إنها ستقوم بالفعل إنزياح لشرب الصباح، إنها تشترط الصباح← **المضيء.**

←**المبتسم.**

← **التفاؤل.**

← **الأمل.**

لتعبّر عما في خليات الشاعر من فرح ونشوة وعشق لهذا الصباح. لقد مارس العنوان الشعري في هذي القصيدة وظيفة انزياحية متمرسة قادرة على التعبير عن كنه مشاعر الذات، ورسمت من جديد الأمل والانشراح في الصباح وزرقته ودلالته على النشاط والحيوية والحركة والعمل. الزرقة فيه تنكشف إلى السماء الصافية البهيجة صباحاً، لم تزل زرقاء. إن صِلات العنوان ووظائفه ودلائله بقيت مترابطة متلاحمة بين العنوان الفرعي← الداخلي لهذه القصيدة والعنوان الرئيس المركزي لعموم الديوان، أمّا في اللوحات الشعرية التي كوّنت هذا النص ففيها من الحركة والأمل والحيوية ما يشبع انزياحي العنوان، وفيها من العشق والمغامرة واللهو ما يتفاءل به كلّ انسان في أول الصباح، كما هو التفاؤل الحادث في أول العنوان الداخلي أو الرئيس على حدٍّ سواء في شعر الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا، وفي نصّه الشعري.

دلالة العنوان الداخلي:

(عندما يشريني الصباح)

الشرط+ الزمان الفعل المضارع الوقت الأمل

الزمان+ المكان الاستمرار في الشرب وقت التفاؤل

الاستمرار في الأمل انزياح الشرب إلى حدث

الحدث الاستمرار في التفاؤل

وظيفة العنوان الداخلي:

(عندما يشريني الصباح).

معنى الشرب ← العمل(الحدث).

الوظيفة الإنزياحية ← معنى الشرب في الصباح← التفاؤل (الشعور).

دلالة الشرب في الصباح← الأمل في المستقبل(الزمن).

وأمّا في قصيدته التي وضع لها عنواناً بـ(الغيمة المشاكسة)، فبدأ العنوان جارحاً للغة، منزاحاً إلى دلالة أخرى هي الجنون والفعل المعادي لهذه الغيمة من خلال الاستعارة وما تفعله في التركيب والألفاظ حين تأتي بها، ويأتي الشاعر بها ليعبّر عما يريد خلف تلك التأويلات الشعرية ولكشف هاتيك الخيالات التي تترتب على مثل هذا النوع من البيان ومن البلاغة عموماً. الغيمةُ تشاكس، فكيف ستكون لوحات النص الشعرية. إنها هي في الأمل والفرح والبهجة والسعادة، إذن هناك وظيفة أخرى للعنوان من خلال الإنزياح إنه ينقلب إلى دلالة أخرى هي دلالة الدلال المشاكس والعطر المشاكس، والفرح المشاكس، دلالة ضدية قلبت المألوف وتركت المتلقي يسبح في خيال شعري متضاد من أول العنوان. اللوحات الشعرية لهذا النص طافحة بالحركة والعمل، جادّة في استنطاق المطر في جوٍّ غزلي شاعري يطربُ له الشاعر ويطرب له الجميع ممن يستمعون نصّه الشعري هذا لوحة لوحة. المفارقات كثيرة أدّت وظيفة الإنزياح في عنوان النص، التشاكس اصبح عملاً، واصبح أملاً، وصار أُغنية تُنشد مادام من هذه الغيمة، ومادام من هذه المحبوبة...(ربما)،ومادام مستمراً تحيا به الربوع، وتسعد به الأماكن. إننا ننتظر هذه المشاكسة كلّ يوم لعلّها تنهمر وتمطر... ويحدث الفرح. يقول في افتتاحية النص الشعري هذا:

انهمري أيّتها الغيمة المشاكسة

لاحظى بلثمِ نسيم بيادر العنبرِ

واغرقَ في غدير فضفاضِ مائكِ
ما لهذا العبير... لا يصيرُ عنادلاً![17]

قس على هذه الشاكلة من الفرح والنشوة في الصوت(العنادل)، في الرائحة(العبير) في المكان(الغدير الفضفاض) في الهواء(النسيم)، له مثل ذلك في لوحة أخرى قائلاً:

يتبرعمُ الاقحوان بخلاخل ساقين
يرقصانِ في جنون
انهمار العاطفة
و أنا بين هذا وذاك
اروّضك فرساً جموحاً
أيّتها الغيمة التي ادمنت الجدب
ساغنّيكِ مواويل تمّرد
حتى موسم الصقيع[18]

الترابط روحي ودلالي وأدبي ونقدي وفني بين الطبيعة والغزل. بقيت الأصوات(الأقحوان← الخلاخل)، وبقيت الحركات المشاكسة(الجنون← انهمار العاطفة)، وبقيت الحركة والحياة(الفرس الجموح← الغيمة الجدباء)، وبقيت مظاهر الطرب والغناء الذي لا ينفع بدون الغيمة الماطرة← الأنثى المعشوق:

الغناء+ المواويل ← تمرّد ← الغيمة الجدباء+ الصقيع.
(شعري).
(شعوري).
(عاطفي).

هذا كلّه جاء في مشاعر لوحة رسمها العنوان وأدّى وظائفها، ولك باقي لوحات النص الشعري الذي بدا طويلاً نوعاً ما. في الخاتمة التي كانت قصيرة جداً ذات معانٍ عظيمة جداً عاد الشاعر شلال عنّوز إلى نداء هذه الغيمة ثانية هنا خاطبها بلغة الشاعر الوطني وبلغة الانسان الغيور على تراب هذا الوطن وما حلّ فيه، وما سجلّ فيه ما بكى عليه وما يبكي عليه الآخرون كلّ يوم. لقد افرغ الشاعر شلال عنّوز في لوحاته الشعرية السابقة مشاعره كلّها في دعةٍ وفرح وتفاؤل، حتى وصل إلى خاتمة النص هنا قال لها: وللوطن بقية، وللحياة بقية وللروح بقية تعالي أيّتها الغيمة وانقضى زمن التشاكس البهي المفرح إلى فعل التشاكس الحقيقي المؤمَّل وأنت تمطرين على بلدي ليعود من جديد وفرحاً من جديد وحياة من جديد وأملاً من جديد...

أيّتها الغيمة المشاكسة

أمطري

فكلُّ ترابُ بلادي

يعيثُ فيه التصحر[19]

نعم، التصحر في المال، والتصحر في المصير، والتصحر في الحياة، إنها المفارقات الضدية بخلق صدمة شعورية متأزمة ستبقى مع المتلقي في هذه الخاتمة. هي تركته حزيناً متألماً لفعل هذه الغيمة المتشاكسة وما نريده منها بالإنزياح في العنوان. بعد ما كانت فرحة مطربة تبعثُ التفاؤل والأمل والانشراح في باقي اللوحات وهي تمطر عنبراً وعشقاً وعبيراً ومودّة... وبالإنزياح في العنوان أيضاً. إنّ الوظيفة العنوانية الإنزياحية هنا بلغت الذروة عند الشاعر شلال عنّوز في نصّه هذا من خلال المفارقات والاستعارة وجرح اللغة والبناء التركيبي للنص الذي اطربنا مرات واحزننا كلّ مرة!!!

• وظيفة ثانية، الوظيفة النحوية في عناوين ديوان(السماء لم تزل زرقاء).

هي وظيفة يحدّدها التركيب النحوي للعنوان، وهذا التحديد يأتي لكون العنوان في النص الأدبي رسالة لغوية، تُعرف من خلاله هوية النص، وبإمكانه أن يُحدد أيضاً مضمونة وهدفه وما يريده المبدع منه وكيف سيجذب القارئ إليه من أول هذه العتبة المركزية الرئيسة في أيّ نصّ ادبي إبداعي تكون فيه، ومن هنا تتأتّى أهمية هذه الوظيفة من وظائف العنوان، وأثرها الفاعل في إنجاح النص الأدبي وإيصال ما فيه إلى المتلقي كما يريد مبدعه. ولعلّ هذه الوظيفة النحوية للعنوان عند المبدع من الأهمية بمكان لكونها تكشف تعالق البنى النحوية وتراكبها لتؤدي فكرة المبدع وهدفه الذي يريده من العنوان، ومن هنا فهي تتطلّب ثقافة نحوية عالية وحسن استعمال الدلالات النحوية والفضاءات الترقيمية ليأتي النص على الغاية من الإتقان والإحكام وحسن الصنعة الأدبية لغوياً ونحوياً ودلالياً وتركيبياً من أول العنوان. وللأسف الشديد وللشديد المؤسف اننا نرى اليوم أخطاءً فضيعة وصارخة في هذه البنى والتراكيب عند بعض الشعراء، وربما تزداد النسبة لتحول هذا البعض إلى غالبية سواءٌ أكان في الشعر العراقي المعاصر أم في الوطن العربي ممَن لا يحسنون وظائف النحو، ولا يلقون بالاً طويلاً لمضمون هذه التراكيب فيقعون في المحظور، ويجنون على نصّهم الشعري الأدبي الإبداعي، إذ بدت ظهر القصور بمفاهيم النحو وتراكيبه ودلالاته واضحة عند بعضٍ من الشعراء والشواعر في عصرنا اليوم..؟!؟!

ولعلّ الشاعر عنّوز ممن أجاد في استنطاق هذه البنى والتراكيب النحوية واحسن استنطاق دلالاتها لتدلُّ على مضامين النص أولاً، ولتبوح على مشاعره الكامنة خلف هذا النص وما فيه من عناوين وتراكيب ودلالات وصور، وإليك أيّها القارئ اللبيب أنموذجات من استنطاق الوظيفة النحوية الاستنطاق الحسن عند شاعرنا العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه: (السماء لم تزل زرقاء). في العنوان الأول، وفي العتبة المركزية الرئيسة يجد المتلقي أن الدلالة النحوية للعنوان الأول الرئيس . (السماء لم تزل زرقاء)[20]تبعثُ على توحد المشاعر بين الشاعر وبين المحبوبة التي كتي لها الشاعر

جلّ قصائده وأشعاره في ديوانه هذا. دلالة "لم" النحوية في القلب والجزم والنفي تؤدي إلى مفارقة ضدية بين الماضي والحاضر في التشكيل الدلالي لعنوان النص وعتبة الأولى، فضلاً عن دلالة اللون التي زادت من قيمة التوهج الدلالي الضدي بين الماضي والحاضر، وابقت على هذه السماء صافية متألقة ليبقى ذاك ولتبقى تلكم المشاعر في نفس الشاعر وفكره، وهما ما يريد نقله إلى محبوبته أولاً وإلى قارئ ديوانه الشعري هذا ثانياً. الذات← الشاعر تتجه نحو ترك مساحات واسعة للتأمل والتفكير عند القارئ من خلال عنوان الديوان الرئيس، ومن خلال هذه التراكيب النحوية التي جاءت لتشكل هذا النحو وهي تتكون من اغلب اقسام الكلام من: الاسم، والفعل والحرف. وكلّها اصطفت دلالياً وتكوينياً لتجلب تلك المؤثرات الدلالية وتساهم في رسم الانفعالات التي يمرُّ بها الشاعر ويريد نقلها إلى القارئ بكلّ صدق وعاطفة وآية ذلك أن النص الشعري هنا ينفتح على كثير من فنون البيان، وعلى دلالات الألفاظ النحوية والنظر في بعض التعالقات النصّية من التأثر بالدين وآيات القران الكريم، أو الشعر العربي، أو الحكم والأمثال لتساند وظيفة العنوان النحوية في إيصال مشاعر الشاعر إلى المتلقي، وإظهار نصّه الشعري والشعوري الواحد من خلال تلكم المظاهر الفنية والبنائية والتركيبة والدلالية في لوحات النص الشعري. خذ مثلاً قوله في مفتتح النص الشعري هذا:

الريحُ مُتخمةٌ بالوباء
تراودُ الفرح
عن سرّه
تستبيحُ عفافه
قدّت قميصه
من وجعٍ
من قحطٍ
شهد شاهدٌ
من محنتها
فقد عذريّتُهُ
صبيحة يومٍ
ثملٍ برذاذِ النوائب[21]

ويقول في لوحة شعرية أُخرى من لوحات هذا النص:

الفرحُ العاهر
ما زالَ مدنَّساً
بخطايا التشتّت
أكاذيبِ مشعوذي الدين

فاسقٌ هو
نامَ ليلَةُ
بحضنِ زُناةِ الوطن[22]

هكذا هو النص من تماسك البنى النحوية والتركيبية واللغوية، قوة الألفاظ وجزالة التركيب حتّى وكأنك تشعر أن النص الشعري هنا ولوحاته الشعرية التي كوّنته كانت في غرض المديح أو الفخر القبلي(القومي)، وهذا ما يؤكد دلالة العنوان الأولى من السماء لم ولما تزل زرقاء وستبقى تلك المشاعر الغاضبة على سرّاق الوطن ولصوصه، كما هي مشاعر الحب السرمدية الباقية، وكما هو لون السماء الأزرق الصافي الجميل. وفي نصّ شعري آخر من نصوص الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه الشعري هذا، ترى الوظيفة النحوية للعنوان تأتي بشكل منسّق وجميل مع لوحات النص الشعري التي قبعت خلف ذلك العنوان. فهي لوحات طويلة المعاني كثيرة التراكيب قوية البنى، وكأنها جمل نثرية أُسبغت بوشاح شعري متأنق. قصيدته التي حملت عنوان(مشاهد من مدن الثقآب)، حملت مشاهد من هذه المدن على أرض الواقع. الوظيفة النحوية للعنوان هنا بلغت شكلها الاتساعي الثقافي الدلالي في الكناية وفي الجموع(المشاهد، المدن)، وفي التراكيب التي ربطت هذه الألفاظ في هذا النسق النحوي التراكيبي المُتّزن. وأمّا اللوحات فكانت طويلة الدلالات كثيرة البنى النحوية لتكوّن هذا العنوان وتقصُّ علينا وظيفته التي جاء من أجلها عند الشاعر، وبين لوحاته، وإليك لوحةً من صحة وتأييد أو تطبيقاً لما نزعم وندعي . ان شاء الله تعالى ـ يقول الشاعر شلال عنّوز في اللوحة رقم(1) من نصّه الشعري هذا:(مشاهد من مدن الثقآب):

(1)

هنا حيثُ يصارعُ تعسفُ المُشوهين الصبح المُدجّن بتمتمات تُعساء قتامة أزمنة الكسار، تدورُ دوائرُ غِش الترجي... تتهجّى إيماءاتِ قنوط دبَّ في دموعِ أروقة الشمس الثيب حيثُ....
لا بريق صبحٍ ينزف...[23]

الرقم(1) في أول السطر. اللوحة فاخرة في استنطاق الدلالات اللغوية والتراكيب النحوية ورصفها بهذا الشكل وكأنك تقرا خطبة نثرية ارتجالية لأديب مُرتَجِل من العصر الجاهلي أو العصر الإسلامي أو الأموي. هي مشاهد حتمية لمدن الثقآب هذه التي عصف بها الوشاة ودمّرها الغادرون عن القيم والحضارة والانسان في وادي الرافدين؟! الشاعر شلال عنّوز هنا اراد من خلال هذه البنى التراكيبية النحوية الدقيقة التراثية في الألفاظ ودلالاتها أن يصل إلى مشاهد حقيقية قائمة على استنطاق هذه الدلالات اللفظية الحقيقية التي وُجدت في الكلمات. إنها مشاهد من مدن السراب، ورث الخيال الحالم الذي يريد أن ينتفض على ما فيه ليكون الغد المشرق الأجمل الباسم لمن سيعيش في هذه البلاد. ويستمر الشاعر شلال عنّوز دلالة هذه البنى النحوية في اللوحة الثانية ليستمر وصفه

لهذه المدن وما فيها من اشتعال اتى على مشاعر التفاؤل الحالي كلّها وتركها مشتعلة بما فعله هؤلاء اللصوص في البلاد والعباد. يقول في لوحته هذه :

(2)

كنتُ اراقبُ مذهولاً مدنَ الثقآب مشتعلةً بنهمِ صواعق الانحدار المريع وهو يلتهمُ مياسم الأمنيات ولا وجودَ لمن يحملُ ماءً، تراباً، ليغلقَ فوّهةَ النار المشتعلة في..... عراءَ الأجساد...[24]

وأمّا خاتمة نصّه الشعري هذا فكانت تعالقاً نصّياً مبيناً سليماً مع آيات القران الكريم، وهذا التعالق أوجد ثقافة مميزة للشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في رسم مشاعره والتعبير عمّا يريد، ومن ثمّ ابقى على الوظيفة النحوية للعنوان وما في لوحات في تماسك ثقافي واضح المضمون قريب الدلالة جزيل التركيب أوفى فيه الشاعر في استثمار البنى النحوية وتراكيبها، واتمّ ما يريد من إيصال وتواصل مع قارئ نصّه الشعري هذا وما فيه من مشاعر. يقول في خاتمة نصّه الشعري هذا:

(3)

المشوّهون يتناسلون، في كلّ أُفقٍ يَظهرون، أَلَمَ ترَ أنهم في كلّ حقلٍ يبصمون...؟!! [25]

ويستثمر الشاعر شلال عنّوز في الوظيفة النحوية لعناوينه في قصائده في ديوانه الشعري هذا من خلال آلية تركيبية نحوية تأتي لوظائف دلالية طالما سمعنا بها وقرانا عنها وشعرنا بأهميتها في الأداء النحوي التركيبي لعناوين الشعراء والكتّاب، أو بين أشطر أشعارهم وفِقر كتاباتهم وهذه الآلية النحوية هي التقديم والتأخير الذي حدّثنا عنها شيخ البلاغيين العرب، وأبان لنا عن سرّ لطافتها في الاستعمال حين قال عنها في كتابه البلاغي الشهير(دلائل الإعجاز):(ولا تزالُ ترى شعراً يروق ك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجدُ سبب أن راقك ولطف عنك أن قُدم فيه شيءٌ، وحوّل اللفظ عن مكانٍ إلى آخر)[26]. وبناءً على هذا الكلام يبين التقديم والتأخير بين المكان وبين دلالاتها النحوية، وتبين أهميته وفائدته النحوية البلاغية، بل ونرى من فحوى قول الجرجاني هذا موجبات استعماله في العنوان أو في التركيب النحوي للنص الأدبي الإبداعي . الشعري وغيره . في كلّ عصر ومصر. في ديوان الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز(السماء لم تزل زرقاء) نرى بعضاً من عناوين نصوصه الشعرية قد رابها التقديم والتأخير، وخاتلها احتيالاً عن القاعدة النحوية التركيبية المعروفة في الاستعمال والبناء والتركيب، وما ذلك إلا لضرورة الانفعال الآني حين يختار المبدع عنوان نصّه الإبداعي، أو حين ياتي ليرصف ألفاظ وكلمات هذا العنوان في لوحات شعرية عدة تبني ذلك النص من الافتتاح إلى الخاتمة، وترسم لنا مشاعر الذات وهي تبوح بما تريد وعمّا تريد البوح به. من تلكم العنوانات التي استثمرت آلية التقديم والتأخير في شعر الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا ومن بين نصوصه الشعرية التي حملت هذا الآلية نصّه الشعري الذي جاء تحت عنوان(حرّ أنتَ). وهنا يتضحّ التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر، واسم الإشارة وأوليته في بدء الكلام، إلّا إن الشاعر استثمر التقديم والتأخير لعلل بلاغية لطيفة ومأنوسة في الاختصاص لهذا الحر، وللتعبير عن مدى حريته ومدى قوة هذه الحرية لذلك الطفل الذي رسمه الشاعر في لوحاته الشعرية في

نصّه الشعري هذا. ولذلك القادم من(كربلاء) الذي بدأ يدقُ أبواب الذاكرة ليحييها من جديد والتأثر من هذا الظلم وتنقلب على الظالمين وافعالهم. هذا التقديم والتأخير جاء بقصد واعٍ من قبل الشاعر شلال عنّوز ليرسم هذا الحرّ بألوان من التعبير تلجأُ كلّها إلى هذا البناء النحوي. وهذا البناء استغلّه الشاعر في مفتتح الأشطر ليرسم بعدها مشاعر من خلال فنون البيان والحواس والألوان غير متناسين أهمية التركيب النحوي ودلالته في إيجاد المساحات البنائية الكافية لذلك التعبير. ومن ذلك قوله في لوحة شعرية من لوحات نصّه الشعري هذا:

صارخٌ أنتَ
شامخٌ براسِكَ
تشيرُ إلى
سوءاتنا المشوّهة
باستهزاء [27]

وقوله في لوحة شعرية ثانية:

كبيرٌ أنتَ
كسرتَ قيدكَ
صغارٌ غن
نمسحُ على قيودِ السجّان [28]

وقوله في لوحة شعرية ثالثة، وهي خاتمة نصّه الشعري هذا:

حرٌّ أنتَ
ير اقصك سناء الأحرار
عبيدٌ نحنُ
ما زلنا نقبّل
أسواط الجلّادِ
نصفق للفاسدين
نَمْ قرير العينِ
كلّنا يبتلعُنا الأرق [29]

ويستثمر الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز هذه الآلية التركيبية النحوية(التقديم والتأخير) في عنوان آخر من عناوين نصوصه الشعرية التي احتجنت ديوانه الشعري(السماء لم تزل زرقاء). وهذا العنوان الذي حمل(الوطن يضيقُ) من بين عناوين الشاعر لنصوصه في ديوانه هذا استثمر الدلالة التركيبية النحوية من خلال تقديم الفاعل على الفعل في تخصيص هذه الدلالة النحوية على الوطن(المكان الأم← المكان المعيش)، ومن خلال التركيب النحوي للعنوان وكشف ماهيته الوظيفية استطاع الشاعر أن يرسم صورة كلية للنص الشعري هنا، فاستطرد استطراداً مستملحاً

في رسم الصورة خلف الصورة حتى وصل إلى خاتمة النص الذي بدا غير طويل نسبياً. التقديم والتأخير هو الذي شكّل العنوان ورسم الصور في نصّ الشاعر هنا، وبقى المكان هو المؤثر الأول والكبير في مشاعر الشاعر التي اراد نقلها إلى المتلقي بكلّ هذه الحرارة، وبكلّ هذا التأثير، كيف لا وهو مكان عملنا ورزقنا ومكان احبتنا ومكان عيشنا... فكيف يضيق؟! ومن هؤلاء؟! ولماذا؟!

الوطنُ يضيقُ
يضيقُ
كي لا يسعنا
منحدراً
يتدحرجُ
نحو نفقٍ
موبوءٍ
ليتأبّطنا
جوع المدن
حقائب متهرّئة
تأكل
حافّاتها
ديدان القمامة
تستبدُّ بها
ارضاتُ
التسوس
عرّاب المدينة
غافٍ
على اسرةِ
اليتمِ
ما زالَ منتظراً
مطر السماءِ
حيثُ...
لا شيءَ في الأفق
سوى نقيق
الضفادع (30)

حمل النص الشعري بلوحاته الدلالية التركيبية الكثير من المفارقات المضحكة المبكية في آن واحد، وهو نصٌّ كُتب بلغة قوية جزلة في التراكيب والكلمات والدلالات والبنى النحوية، ساعد التقديم والتأخير من أول العنوان في البوح عن المشاعر التي يريد الشاعر شلال عنّوز أن تصل إلى المتلقي وهو يتحدث عن هذه الثيمة التي تشاغل القلوب والعقول في كلّ زمن... ألا وهي الوطن.

• وظيفة ثالثة، الوظيفة الانفعالية في عناوين ديوان(السماء لم تزل زرقاء).

هي وظيفة نابعة من صلب وظائف الشعر. فكما أن الشعر العربي هو شعر إنفعالي تعبيري تأثيري متخيل . على الأغلب ،، فإن العنوان أيضاً له وظيفة انفعالية تعبيرية تأثيرية متخيلة . على الاغلب ،، هذا فضلاً عن وظيفة الإقناع التي تقبع خلف هذه الظواهر الشعورية والتي تعدُّ من أهم ما يسعى إليه المبدع لإيجاد الديمومة والخلود لنصّه الأدبي الإبداعي ويجعله في رونق وتألق مهما طالت عليه السنون أو تغيّر عليه القرّاء واختلفت ثقافاتهم ومشاعرهم وعواطفهم وافكارهم. وعناوين الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء) تأتي في بعضها لتحاور هذه الوظيفة في عناوين بعض نصوص هذا الديوان الشعرية. وهو حينما يحاور هذه الوظيفة يتحول العنوان فيه إلى ايقونة← علامة دالة على الذات وما تريد البوح به من خلال العتبة الرئيسة← العنوان في أول النص وبدء لوحاته الشعرية. ولتأخذ على ذلك الأمثلة الآتية من العناوين ونقراها قراءة تحليلية نقدية كاشفين عن مدى الانفعال النفسي فيها مبينين أهمية هذه الوظيفة الدلالية الشعورية التعبيرية من بين وظائف العنوان الكثيرة في النص الإبداعي الشعري. هاك مثلاً عنوان نصّه الشعري(جداول البكاء)[31]. إن النص الشعري في لوحاته المتسلسلة في هذا النص يتفجّر حزناً والماً، ويثير إنعالاً مبكياً جاء موافقاً لعنوان الشاعر شلال عنّوز لنصّه الشعري هذا. هذه الجداول التي تتفجر غضباً وحقداً على أولئك المدمرين للوطن الناهبين لثرواته وخيراته في وضح النهار وأمام الجميع. الجداول هنا ايقونة انفعالية إنزحات من شيءٍ طبيعي هادئ صافٍ في العمل وإثارة المشاعر إلى الم وبكاء وحسرة على البلد وما فيه، وما اصبح فيه بسبب هؤلاء الظالمين من الداخل والخارج.

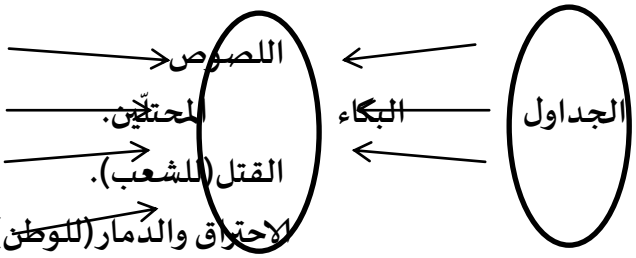

وتظهر مثل هذه الوظيفة من وظائف العنوان عند الشاعر شلال عنّوز أيضاً في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء) في قصائد ونصوص شعرية أخرى احتجنها هذا الديوان، وهذه العناوين كلّها أبانت عن مدى الانفعال الشعوري العالي المتأزم الذي يمرُّ به الشاعر حين يَنظمُ النص، وحين يُنظّمُ لوحاته الشعرية الواحدة تلو الأخرى داخله.... فعنوان نصّه الشعري(صافرة الخذلان) يثير فينا تلكم الانفعالات الشعورية الكثيرة التي تأتي في مشاعرنا وعواطفنا جراء سماع هذا العنوان لأول وهلة.

إننا لنصاب بكمٍّ هائلٍ من الإحباط في المشاعر، والإرهاق في الإحساس حين يمرّ بنا الخذلان أو حين نقرا عنه أو نشعرُ بأن احداً من البشر أُصيب به ولأيّ سبب كان، فما بالك بالشاعر ذي الإحساس المرهف وهو يصاب بمثل هذه الحالة النفسية الشعورية الحادة في حياته، وكيف سينقلها إلينا بمثل هذا الإبداع الشعري الأدبي المميّز؟! فيا ترى كيف كانت صافرة الخذلان عند شاعرنا العراقي المعاصر شلال عنّوز في نصّه الشعري هذا؟! وكيف كانت وظيفة العنوان الانفعالي التأثيرية مترجمة إلى واقع إنفعالي تأثيري من خلال لوحات نصّه الشعري؟!؟! لنسمع إلى بعض نصّه هذا وهو يقول فيه:

باكياً كان
يومَ أمس
دموعه تهرولُ
في انهيارات
اللوعة
تغسلُ أوجاعَ النهرِ
بملح العيون
ترقصُ على شظايا الالم
بمجذاف التوجّس
ككتبُ على أخاديد المحنةِ
زفيرالأَسى
بجمر القلق[32]

النص الشعري من خلال لوحته هذه كلّه حزن وقلق وخيفة في حزن وقلق وخيفة من الحاضر ومن المستقبل على حدٍّ سواء! الشاعر هنا وقف على دلالات الحواس البصرية والسمعية ليرسل لنا انفعالاته التعبيرية القاسية التي مرّت به بها نفسه ومن ثم نصّه الشعري. صافرة الخذلان عنوان انفعالي تأثيري ذهب إلى أكثر من أن يكون ايقونة للنص، إنه فعلاً تلك المشاعر الانفعالية المتأزمة التي انتابت الشاعر في ظروف متأزمة فاراد نقلها إلى المتلقي وهذا ما كان واضحاً بجلاءٍ وإبانة من أول العنوان إلى اللوحات إلى آخر كلمة في النص الشعري عند الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا. وإليك خاتمة نصّه لنؤكد صحة ما نقول وندعي:

مَن قال انَّ الدموع لا تحترق؟
هي مشتعلة
منذ اصطفاف العشق
من يُطفئُ هذا اللظى؟
يختنُ سرّه الزمن العاهر؟

كلّ المجاهيل تنامُ في القيلولةِ

ثم تصحو على

صافرة الخذلان

ساهرة لم تنمْ

يأكلها الأرقْ[33]

ويستثمر الشاعر العراقي المعاصر هذه الانفعالية في العنوان ليرسم لنا صوراً زاهية طافحة بألوان من مشاعر الحزن والاسى. والشاعر يميل في هذا الرسم لصوره الزاهية هذه بالألفاظ واللغة الشعرية السحرية العالية التي تجلب مظاهر الطبيعة وثيماتها المكانية البارزة لتودعها تلكم اللوحات التي تشكل النص الشعري وتبين عن مشاعر الشاعر وعواطفه وانفعالاته واحاسيسه وما يريد إيصاله بدقة ووضوح وتركيز على المتلقي. احياناً تكون الوظيفة الانفعالية التأثيرية للعنوان عند الشاعر شلال عنّوز في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء) عبارة طويلة، خذ من ذلك عناوين قصائده

.تجليات في ممرات الانتظار[34].

.أنا والحبّ والعراق[35].

.لا جدال في الحبّ[36].

....وغيرها.

وهذه العناوين كانت لوحاتها الشعرية طويلة الألفاظ واسع الكلمات حتى أشطرها الشعرية كانت طويلة نسبياً مع باقي النصوص الشعرية ولوحاتها في هذا الديوان. وهو ما اتاح للشاعر فرصة أكبر للتعبير ورسم المشاعر التي تعتليه حين نظم النص وإيصالها من خلال الشاعر إلى المتلقي. وربما رأَينا الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز يميل إلى الصورة الواقعية الحقيقية والكلمات الجزلة القوية لرسم هذه الصور من المشاعر في عناوين نصوصه الشعرية هذه ولوحات هذه النصوص، مبتعداً بعض الشيء عن فنون البيان وعن التزويق اللفظي والمعنوي لدلالات الألفاظ والكلمات والشطر الشعرية لأنه في انفعال عالٍ ومؤثر يريد نقل الأفكار والعواطف كما هي شعوراً وتجربة وممارسة. وأمّا في بعض عناوين النصوص الشعرية الأخرى التي احتجنها هذا الديوان عند الشاعر شلال عنّوز فنراها تكوّنت من مفردتين فقط، وهاتان المفردتان رسمتا المشاعر الانفعالية وأديتا وظيفة الانفعال والتأثير من خلال العنوان من أول سماعه. ولعلّ من تلك النصوص الشعرية التي جاءت وظيفة وتطبيقاً في هذا الديوان هي:

.دروب معتمة[37].

.لماذا أنت؟![38].

.ملكية الاقحوان[39].

.... وغيرها.

وفي هاتـه العنـاوين لهـذه النصـوص الشـعرية مـال الشـاعر شـلال عنّـوز إلى بعـض وسـائل الرسـم في التشـكيل والتعبيـر مـن مثـل فنـون البيـان ولاسـيما في التشـبيه، ومـال أيضـاً إلى اسـتنطاق دلالات الحـواس ووظائفهـا ولاسـيما في الحاسـة البصـرية مـن المواقـع المشـاهدة ومـن الألـوان وأهميتهـا وهـو ربمـا أراد التخفيـف مـن غلـواء مشـاعره وانفعالاتـه بهـذه المظـاهر وجعـل الـنص في زينـة معينـة تخفـف انفعاليـة العنـوان وقسـاوتها على القـارئ. وهنـاك مـن العنـاوين مـا جـاء في مفـردة لفظيـة واحـدة رسـمت الانفعاليـة التأثيريـة للعنـوان وأباحـت بـالكثير الكثيـر مـن مشـاعر الشـاعر وانفعالاتـه ومـا يريـد إيصـاله إلى المتلقـي وقـارئ شـعره في كلّ زمان ومكان. ومن تلكم العناوين في ديوانه الشعري هذا هي:

.الوداع[40].

.غواية[41].

.خيبة[42].

.تعالي[43].

إذ إن هـذه العنوانـات كلّهـا سـيطرت على بنـاء العنـوان فيهـا ورسـم جماليتهـا وتشـكيلها والبـوح بمضـمونها مفـردة لفظيـة واحـدة، وهـذه المفـردة هـي التي نقلـت إلينـا المشـاعر الانفعاليـة التأثيريـة كمـا كانـت في مشـاعر الشـاعر العراقي شـلال عنّـوز واراد نقلهـا مـن كنـه ودانـه وتجربتـه الشـعورية التي عرفهـا في حياتـه الطويلـة. ولنأخـذ مـثلاً نصّـاً شـعرياً واحـداً ونهشـمُ جسـده ومـا فيـه مـن لوحـات سـاعدت الشـاعر في بنـاء الـنص الكلّـي وأباحـت عـن تلكـم المشـاعر التـي انتابتـه لحظـة الإبـداع لحظـة الإنشـاء لهـذا الـنص، كاشـفين عـن مقـدرة العنـوان ووظيفتـه الفعليـة في التعبيـر عـن هاتيـك المشـاعر وإيجـاد علائـق البنـاء التركيبي والـدلالي والفني بـين العتبـة المركزيـة الرئيسـة وبـاقي لوحـات الـنص الشـعري ومـا في هـذه اللوحـات مـن صـور وألفـاظ وتراكيـب واصـوات. وهـذا الـنص الشـعري ذو المفـردة الواحـدة في العنـوان، وذو الوظيفـة الانفعاليـة بهـذه اللفظـة هـي نصّـه الشـعرية الـذي وسـمه الشـاعر بـ:(خيبة) وهـذا الـنص وإن كـان مـن نصـوص الشـاعر عـن القصـيدة نسـبياً، إلا إنـه مكـون مـن ثـلاث لوحـات شـعرية قصـيرة أيضـاً. وهـذه اللوحـات رُسـمت بألفـاظ قويـة جزلـة التراكيـب صـارمة المعـاني للتعبيـر عـن تلـك الخيبـة الكبيـرة التي عاشـها الشـاعر، ولا نعـرف مـا اسـبابها؟! زلـم يعرّفنـا الشـاعر شـلال عنّـوز بهـذه الاسـباب التي دعـت إلى خيبـة بكلّ هـذا العمـق والتـأثير النفسـي والاجتمـاعي والفلسـفي التي عبّـرت عنهـا لوحـات هـذا الـنص. يقـول في اللوحـة الأولى منه:

ثملُ عشقٍ

ألُمُّ مشاويرَ خُطاك

احلمُ بعناقِ

بيادرِ السوسن

يا لخيبتي..!![44]

الأنا طافحة بإحساسات الغربة والحيرة والقلق من هذه الخيبة في هذه اللوحة، أراد الشاعر أن يتخلّص منها .نفسياً وشعورياً- ببعض الازهار، وبعض الأحلام، وبعض حركات العناق التي ربما قد تكون خففت من التأزم النفسي الشعوري الذي اجتاح مشاعره وشعوره في لحظة معينة! وأمّا في اللوحة الثانية من هذا النص الشعري عند الشاعر شلال عنّوز ففيها ما فيها من التصريح المبطّن، والبوح غير المباشر عن بيع الوقت... بيع الانسان ... بيع الذات لأيّ مُشترٍ؟! وبقيت الذات← الشاعر في الحيرة نفسها وفي القلق نفسه، ومن خلال الكناية عن نسبة في ذلك التيه نلحظ ذلك القلق المتأزم في نفسية الشاعر، وتلكم الحيرة القاسية في مشاعره. يقول في هذه اللوحة:

غاصت رجلاي

في مستنقع

رمال التيه

مُنوَّماً تُراني..

أم أنَّ الوقتَ

معروضٌ للبيع[45]

وأمّا في اللوحة الختامية من هذا النص الشعري عند شاعرنا العراقي المعاصر شلال عنّوز فنراه يصل إلى عمق المعاناة والمأساة التي يريد نقلها إلى القارئ والمتلقي من خلال نصّه الشعري، وهذه هي وظيفة الخاتمة في ترك المضمون النهائي للنص الإبداعي عند المبدع، وهي ما اراد لها الشاعر شلال عنّوز حين قال فيها:

همساً أجبني

أيّها الهذيان المُرمَّل؟

الأرقُ جَبّارٌ يستبيحُ

زُغبُ النوم[46].

هنا كشف الشاعر عن أكثر مشاعره وانفعالاته وابقى على سحر(الخيبة) في القلق والارق إنه شكوى دائمة وسهر موجع على ما الـمّ به من شظف الحياة، وبؤس الحاضر، ومجهولية المستقبل. الألفاظ تنثال بعمق لتشكل الوحدة الشعورية العاطفية العالية للنص. التراكيب جزلة أباحت عن كنه مشاعر الذات في التعبير عن واقعٍ مريرٍ مُرٍّ اصاب الجميع بخيبة.. لا تُصدق! هذه هي وظيفة العنوان الانفعالية في الرسم بمفردة لفظية واحدة، ولعلّ باقي العنوان التي استنطقت مثل هذه المفردة في الوظيفة والأداء لا تخرج

عما قدمناه في نصّه الشعري هذا، ولا تبتعد بوظائفها ودلالاتها عمّا اسلفنا فيه القول في تحليل هذا النص الشعري وكشف ما في لوحاته وما اراده الشاعر منه ومنها....

• وظيفة رابعة، الوظيفة الاتصالية في عناوين ديوان(السماء لم تزل زرقاء).

تقبع هذه الوظيفة الجزئية من وظيفة الشعر الكلية، بل ومن عموم وظيفة النص الأدبي في فنونه المتنوعة وأجناسه المختلفة من السرد والنثر الفني والقصة والرواية والمسرحية. إذ إن مهمة النص الأدبي هي إيصال الأفكار والمشاعر وما يريده صاحب النص إلى المتلقي، ولعلّ قديماً وحديثاً ما شاع هذا المخطط:

المرسل الرسالة

↓ ↓

المبدع ← النص الأدبي الإبداعي →المتلقي

↓ ↓

الشاعر النص الشعري

في الدراسات الأدبية والنقدية وهو ما يوضح بجلاءٍ ووضوح تأمين عمق أهمية التواصل بين المبدع والمتلقي من خلال نصّه الأدبي الإبداعي وما فيه من مضامين ورؤى وافكار يروم المبدع إيصالها إلى الجمهور. ولعلّ العنوان من اسمى مراتب التواصل في النص الأدبي الإبداعي، وهو النظام السيميوطيقي الأول المكثّف الذي يشكل البدع الدلالي للنص من أول مفرداته.[47] ومن هنا تُكشف أهمية الوظيفة التواصلية للعنوان بكونه يتخطى الانتاجية الدلالية لبنية التركيب وتتفاعل مع دلالته المحفّزة لإنتاج النص الأدبي كلّه[48]. وهذا ما يجعل العنوان من خلال وظيفته التواصلية ذات انتاجية دلالية جديدة تؤسس سياقاً بنائياً تركيبياً جديداً يهيئ المُستَقبِل لتلقي العمل وفهمه وفهم ما وراءه من افكار ومشاعر[49]. أن عنوان (السماء لم تزل زرقاء)، ليؤسس لدلالية جديدة من خلال وظيفة العنوان التواصلية. الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز يتخطى البعد التركيبي الة التواصل الجمالي من خلال السماء← المكان المفتوح، الزرقاء← اللون الذي ينفتح على دلالات عدة أهمها الصفاء والسعة أيضاً، وهذا ما يجعل التواصل بين الشاعر والمتلقي أكثر ترابطاً وتكانفاً ليعرف ما وراء هذه السعة، وما وراء هذا المكان المفتوح من عناوين أخرى فرعية جاءت لتشكل النصوص الشعرية عند الشاعر شلال عنّوز في ديوانه هذا. ولعلّ هذه الإشكالية التي يطرح العنوان (السماء لم تزل زرقاء) تثير وجدان المتلقي وتجعله قريباً جداً من إبداع الشاعر. وليدور في فلك تجربته الشعرية ويجعله في هذه السماء بكلّ تفاصيلها وما فيها من إشارات ودلالات تبحث عن التأمل والتأويل بعيداً عن المباشرة احياناً. لتعبّر عن كنه الذات وما فيها من مشاعر مع كلّ عنوان ونصّ شعري احتجنه الديوان. ومن هاتيك العناوين التي جاءت في شعر الشاعر شلال عنّوز وكوّنت وظيفة العنوان الاتصالية بينه والقارئ والمتلقي لنصّه الشعري في هذا الديوان قصيدته ونصّه الذي وسمه الشاعر شلال عنّوز بـ:(على ضفاف دجلة)[50]. وهنا يستنطق الشاعر عتبة المكان

الطبيعي المفتوح(الضفاف)، والنهر المكان الطبيعي المفتوح ذي الدلالات المختلفة بين الألفة احياناً والعداء احياناً أخرى ليشكل العنوان الرئيس لهذا النص الشعري ومن ثمّ وظيفته الاتصالية مع القارئ لشعره في كلّ وقت. الشاعر هنا اراد رسم مشاعره والتعبير عنها من خلال المكان ولاسيما الطبيعي، ولعلّ هذا ما ترك في نفس المتلقي شوقاً وتوقاً لمتابعة لوحات النص وملاحقتها بنائياً وشعورياً ودلالياً ليكشف مشاعر الشاعر وما يريد إيصاله من خلال هذه اللوحات. ومن البداهة أن يكون النص . من خلال عنوانه ووظيفته طبعاً. نصّاً غزلياً مفرحاً بدلالة هذه الأماكن وما فيها من رومانسية محببة تأتي على سحر ذلك المكان بالوصف المطرب والإسعاد المنشود، وهو ما يتضح في قول الشاعر في بدء نصّه الشعري هذا:

سأُغنّي ترنيماتها

هذا المساء

عصافيرَ حُبٍّ

تُر اقصُ

مُوحياتِ دجلة[51]

وتعاضد الغزل والمكان محمودٌ محمودٌ في الشعر قديماً وحديثاً ومعاصراً من خلال نصّ الشاعر شلال عنّوز هذا ولوحاته التي يقول فيها:

هي دجلة

وتبلاتُ الأماني

تر اتيلُ من أبجديّاتِ

التوهّج على

ضفافِ الأفقِ

الأخضر[52]

وهكذا هي باقي لوحات النص الشعري هذا في استنطاق الألوان والحواس ورسم جماليات الصورة الشعرية من خلالها في اغلب اللوحات رسماً جمالياً تشكيلياً معبراً عن الذات وافراحها وسعادتها بالمكان والمحبوب والأمل الذي يبتغى من خلال هذا الغرض الوجداني العميق في النفس الإنسانية المبدعة، ومع المكان الطبيعي الأليف المفتوح الذي يوحي للشاعر بهذه المشاعر كلها دائماً. وفي نصّه الشعري الآخر والذي حمل عنوان(ملكية النوارس)، نراه لا يبعد عما قدمنا فيه القول والشرح والتحليل في النص الشعري السابق ودلالات العنوان لديه ووظيفته التواصلية. وهذه الوظيفة هنا تعكس على بناء قدرة عالية من الجمال لهذه المحبوبة وكيف استطاع الشاعر شلال عنّوز من خلال هذه الطيور أن يبوح بمشاعره المحبة المتألفة السعيدة من خلال نصّه الشعري هذا وما فيه من لوحات إلى المتلقي. إنّ الأبعاد الجمالية للنص رُسمت من خلال العنوان، وهذه الابعاد

الجماليــة هــي التــي كوّنــت الوظيفــة الاتصــالية بــين المبــدع والمتلقــي مــن خــلال هــذه الشــفرة(العنوان) ومــا فيــه مــن دلالات المكــان المفتــوح والطبيعــي التــي تــدعو إلــى التأمــل والتفكير فيما يريده الشاعر. وأمّا عن الصورة وجماليتها ووسائل تشكيلها، فهي قد عُرفت إلى حدٍّ كبير من خلال حديثنا السابق عن النص وتأثير وسيطرة المكان السحرية عليه وهي ربما ستتضح أكثر من انتشالنا لإحدى لوحاته، وافضل اللوحة الأولى التي يقول فيها الشاعر شلال عنّوز:

اراقبُ صمت عُري الماءِ
على ابتسامات
فضاءاتِ جسمكِ
المخمليّ
الذي خلع قيد
جُدران الحراسة
وأشرف بابتهالات
أمواج الضوء
يُشهر عنفوان
رايات التمرد
ويعلنُ مواسم
الشروق السرمدي
على رقص بوّابات
مدن البنفسج.[53]

وأمّا في نصّه الشعري الذي وسمه بـ (مطر الحب) فالكلّ يعرف ما مدى هذا العنوان في التواصل الجمالي بين الشاعر والمتلقي، وما تثيره لفظة "المطر" من أجواء الرومانسية وما ترسمه من جماليات تجاوز الواقع الشعوري المباشر لترسم الأمل والتفاؤل والسعادة والانشراح بهذا الحب، وبهذه المشاعر المفرحة المتفائلة التي كانت كالمطر رحمة وسعادة وأملاً. أن الشاعر شلال عنّوز في نصّه الشعري هذا يتخطى الابعاد التركيبية المباشرة إلى المجاز ورسم الخيال العميق ليصوّر لنا من خلال لوحات النص الشعرية مدى سعادته بهذا الحب .المطر، وفرحه بهذا الأمل .المطر، ونشوته بهذه المحبوبة .المطر. العنوان هنا تشكّل دلالياً عتبة فتحت هذه المشاعر وغيرها للمتلقي ليتصور كم هي عواطف الشاعر واحاسيسه مع كلّ لوحة شعرية احتجنها هذا النص وكوّنت بناه التركيبية والدلالية والبنائية. ولنأخذ انموذجاً على ذلك لوحته التي يقول فيها:

غنيتُ لها

مواويل عشقي

نثرتُ

مطر الحب

انتفضت

يمامة برية

تحلّق في

فضاءات الخجل[54]

تراها مشاعر مفرحة مطرية بهذا الحب الماطر المحب. العنوان ووظيفته التواصلية تحول إلى تفاعل جمالي بين الشاعر ومحبوبته من جهة وبين الشاعر والمتلقي من جهة أخرى، وهذا ما أكدته هذه اللوحات وما فيها من صور زاهية وفق إلى رسمها الشاعر شلال عنّوز لتعبّر عن تجربته الغزلية الباقية، وما جاء جلّ الديوان في نصوصه الشعرية المختلفة من أجله، وهاك أيّها القارئ اللبيب لوحة أخرى من لوحات هذا النص الشعري عند شلال عنّوز لتؤكد لك جلياً صحة مزاعمنا وقولنا:

تعزف لحن النقاء

في أريج الربيع

وفرّعصفوران

من ضوء

تحت القميص

الأرجواني المبلل

بغنج الصبا

فاحتفلت العنادل

بموسيقى النسيم[55]

هو هو ما قلناه عن الجماليات المتكوّنة من الرسم في التشكيل والتعبير لكُنه مشاعر الذات← الشاعر، وما تريده وما تريد ان تصل به إلى القارئ من خلال هذه العنوانات وما فيها من لوحات من ابعاد جمالية رسمت صورة الشاعر المتفائل المنشرح الصدر، طرب الذكريات مع محبوبته هذه، ومع أمكنته هذه، ومع زمانه هذا. المكان والعنوان هما من كانا وراء هذه الجماليات، والعنوان هو الشفرة الأولى التي أباحت استنطاق المكان ومظاهره وألوانه التي رسمها الشاعر بهذا الكمّ الهائل من الفرح والسعادة والإطراب. العنوان ووظيفته التواصلية تحول إلى جماليات التشكيل والرؤى ليصل المبدع إلى ذات المتلقي ووجدانه ويحاور محاورة جمالية جديدة كشفت عن مشاعره التي تقف خلف إبداعه للنص الشعري، ولعلّ عنوان نصّه الشعري الأخرى(قطعةُ حلوى أنتِ)[56] لا يخرج عمّا قدمنا فيه القول من أهمية العنوان وأهمية وظيفته التواصلية ذات الابعاد الجمالية في الرسم والتشكيل والتعبير عن مشاعر الذات نحو المحبوبة، ونحو قصة حبه لها التي ترددت كثيراً في

الديوان من خلال النصوص الشعرية التي جاءت فيه، ومن خلال عنوان كلّ نصّ ووظائف هذه العنوان البارزة ولاسيما الوظيفة التواصلية وقدرتها الكبيرة على ربط مشاعر الشاعر بمشاعر المتلقي في اغلب النصوص ولوحاتها التي كسرت افق المباشرة والتقدير في هذا النوع من النصوص الشعرية عند الشاعر شلال عنّوز وادّت القيم الجمالية التي يريدها في رسم مشاعره الغزلية المفرحة المطرية ونقلها كما هي جمالاً وأداءً وشعوراً إلى المتلقي.

• وظيفة خامسة، الوظيفة الرمزية في ديوان(السماء لم تزل زرقاء).

بدءاً لابُدّ من القول إنَّ الرمز هو أحد أدوات بناء النص الشعري، وأحد المكونات الأساسية لدلالاته الكثيرة ولاسيما الشعر العراقي والعربي المعاصرين. وهو وسيلة جاذبة للمتلقي لهذا النص الشعري وجعله يدور في فلك التجربة الشعرية التي مرّ بها الشاعر واراد نقلها إلينا، ومن هنا فالعنوان من خلال هذه الوظيفة يلعب أثراً بارزاً ومؤثراً في كشف هذه العلائق النفسية والشعورية بين المتلقي والمبدع. وقد ساهم الواقع المعيش للشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في تعميق الدلالات الرمزية وفحواها الإيحائي والفكري في عموم نصوصه الشعرية ومنها نصوصه التي جاءت في ديوانه . موضوع الدراسة هنا(السماء لم تزل زرقاء)، وفي عناوين جمّة لهذه النصوص. وهو استثمر طاقات اللغة الشعرية التي تؤدي الرمز والرمزية ببراعة وإحكام فضلاً عن الثقافات العامة التي يحملها الشاعر شلال عنّوز، وفضلاً عما يحتويه الرمز من اساطير ومجاز واستعارات[57] وعلامات ممكن أن تدعو إلى التأمل والتفكير في الوظيفة الرمزية الحقيقية لعنوان أيّ نصّ عند الشاعر. إن بعضاً من عناوين نصوص(السماء لم تزل زرقاء) حملت الوظيفة الرمزية، وجاءت بأجواءٍ غاية في الترميز الموحي المكثّف الذي يدلّ على مشاعر الشاعر العراقي شلال عنّوز ويعكس أوجهاً كثيرة من أوجه الثقافة لديه الدينية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية، هذه الثقافة التي يتمتع بها الشاعر ويحاورها كثيراً في نصوصه الشعرية سواءٌ أكانت في هذا الديوان أم غيره من الدواوين وفي نصوصها الشعرية وفي عناوين تلكم النصوص المختلفة... المتنوعة في الأفكار والمضمون والدلالات. خُذ مثلاً عنوان نصّه الشعري(نسائم الاستغفار)، فالشاعر شلال عنّوز إنما يضعنا في هذا العنوان الذي يوحي بترميز نحو ثقافة دينية نقية يروم الشاعر إيصالها إلى المتلقي. ولا شكَّ أن اللغة الشعرية ادّت وظيفتها الجمالية الحقيقية في قوله(نسائم) وما في هذه اللفظة من دلالات الارتياح والنشوة والأمل بهذا الركن الركين من العبادة، والرجوع إلى الله . سبحانه وتعالى . بالاستغفار والتوبة دائماً وابداً، وهذا توجه المؤمن الحقيقي العقائدي والتعبدي في كلّ وقت، وفي كلّ مكان. وبعد المز وبعد اللغة الشعرية في العنوان ووظيفته التي جاءت في النص الشعري هذا، لنا أن نحاور لوحاته الشعرية وما فيها من ثقافة دينية عكست هذه النسائم ورائحتها الزكية وهي مما يسعد بها المؤمن . كما اسلف ـ في اللوحة الأولى رمضان هو نسمة الروح ونشوتها في العبادة والاستغفار، هو الأمل في النجاة من الذنوب، هو الدعاء لمن نحبّ، هو المناجاة الحقيقة لله(عز وجل) في كلّ ما يحلّ بنا، هو كما يقول شاعرنا شلال عنّوز في هذه اللوحة:

ورمضانُ باسطٌ جناحيه علينا...

موغلٌ بالهداية

نسائمَ الاستغفار

اطواق النجاة

جوع لقاء

تذكرتُهم... رحلوا... ما عادوا

أَينهم يا شهر الله؟...[58]

وتستفيق ألفاظ الشاعر شلال عنّوز هنا على كثير من التعالق النصّي بين آيات القران الكريم وبين لوحاته الشعرية التي فيها من الغربة والبعد عن التفكير بالمصير ويوم الحساب، وهذه من دلالات الاستغفار وما يريده المؤمن من التكفير عن الذنب والعودة إلى العمل الصالح والدعاء بتقبّله وقبوله. ومن ذلك من يقول في لوحة شعرية أخرى من لوحات نصّه الشعري هذا:

ما زلتُ اراهُم أشباحاً

في المنعطفاتِ

الدروبِ

.... يسيرون حيثُ

لا يعلمون المصيرَ

.... يحملون أوزارهم... "من كلّ فجٍّ عميق".[59]

الفضاءات المنقطة هنا وعلامات الاستفهام المحيرة التي انتشرت في لوحات النص الشعري عكست مدى التشنج والقلق والحيرة في نفس الشاعر ومشاعره ومن ثم في التفكير في المصير الذي سيلقاه يوماً. الرمزية في وظيفة العنوان فتحت كلّ نسائم الاستغفار هذه، وفي باقي اللوحات . التي لا تخرج عما قدمناه . استغفار وآيات تدلُّ على البعث وعمل الخير مهما كان وفي الخاتمة تتحول رمزية اللغة ومجازاتها واستعاراتها إلى حقيقة في التعبير والتصريح بالنصح لهؤلاء اللصوص والسراق يتوبوا وليعودوا إلى الباري . سبحانه وتعالى . بالاستغفار والإنابة الصادقة والتكفير عما فعلوه من اعمال شريرة جاءت بالدمار والهلاك على البلاد وما فيها من خيرات وهبات، فالله الغفور دائماً، الرحيم دائماً... وهو الشديد دائماً العزيز دائماً! وأمّا في نصّه الشعري الآخر والذي جاء في ديوانه الشعري هذا تحت عنوان(عقوق السفر)،فإننا نرى لوحات النص الشعري مملوءة بكمّ هالٍ وكبير ومؤثر من دلالات اللغة الشعرية الرمزية واستثمار طاقاتها التعبيرية في رسم تلك الرمزية وتقديمها إلى القارئ من خلال فنون البيان والألوان والحواس. إن العنوان هنا حمل ثنائية مضادة ومفارقة ضدية إلى حدٍّ كبير فالمفروض أن تكون في السفر علامات التفاؤل وعلامات التغيير المفرحة نحو الخير ونحو واقعٍ جديد؛ إلّا إن الشاعر شلال عنّوز قلب هذا الواقع إلى ذنب وعقوق ومشاق مستثمراً طاقات اللغة ودلالات الرمزية في العنوان وكشف وظيفتها الدلالية المكثفة التي توضح لها بعناية ودقة. وبدأ

الشاعر في اللوحات الشعرية الأولى من نصّه الشعري هذا في عالم من الضياع والفقد بعدما رأى ما حلّ في بلده وفي شعبه من نكبات وويلات، ويتوجه بخطاب مباشر إلى مَن كان سبباً حقيقياً في هذه النكبات والويلات ويوجّه له اللوم والتقريح والعتب الشديد لما اقترفه مثل هؤلاء...؟!؟! وأمّا في اللوحة الختامية، وفي اللوحة الشعرية التي تحمل الرقم(3) من بين لوحات النص الشعري هذا، فهو يعود إلى بعض من التفاؤل من خلال المظاهر الطبيعية الاليفة والأمكنة المحببة المفتوحة ودلالات الحب والألفة والانشراح من خلال الازهار والألوان واستنطاق الحواس ليكون النص خاتمته أكثر تفاؤلاً وانفتاحاً وإطراباً، ولتعود رمزية السفر إلى حقيقة ولو إنها بعيدة، لكنّها اقرب إلى الروح وإلى الأمل الذي ربما ينتظر الشاعر يوماً، على كلّ المرار والالم الذي عاناه ويعانيه، وكلّ هذا العقوق والمأثم من افعال الظالمين المغتصبين وافعالهم الشنيعة التي فُعلت بلا ضمير أو رقيب.
يقول في خاتمة نصّه الشعري هذا:

في هجرِ المسافات
كنتُ ناي بوصلة للغناء
نهر قصيدة من أَلق
مشاوير هدهدات للحالمين
لا يأكلك عقوق السفر؟
فما زلت مرفأ قارب للأماني
يا أيّها المزدهي بعنفوان
تراتيل الحروف
لا تبتئس
فبين هديل بوحك
وزهو بساتين التاريخ
واحات من نسائم
جُلّنار وبنفسج
تزغرد في شهبِ فضاءاتها
عصافير الألم
وتنشدُ لها النجوم...
أهازيج ضوء[60]

لعل هذه الجماليات كلّها في ← **المكان الطبيعي الاليف المفتوح.**
← **الأزهار والطيور ومظاهرها المفتوحة.**
← **الألوان ودلالتها الزاهية المطربة.**
← **عناصر الإضاءة والضوء بين الألوان والحواس.**

اتت ثمارها الطبيعة في التعبير الرمزي المكثّف على ما يحتاج الشاعر شلال عنّوز من مشاعر وعواطف جراء هذا السفر الذي بدأ مجازياً يختال الروح ويتّشح بألوان المحبة والأمل في اللقاء لتلك المحبوبة، ولتلك الايام التي يريدها الشاعر أن تعود في ظل وطن جديد حالمٍ بالراحة والهناء والدفء نقياً مثل البنفسج والجلنار من الظالمين الماكرين...!!! وهناك من النصوص الشعرية ما أثارت الرمزية من عنوانها عند الشاعر شلال عنّوز في ديوانه الشعري هذا(السماء لم تزل زرقاء)، ولعلّ من تلك العناوين التي جاءت في نصوصه الشعرية عنوان قصيدته(لا جدال في الحبّ)[61]، هذا العنوان الذي أُخذ من القران الكريم وآياته ومن فحوى التأثير مع الثقافة الدينية بأشكالها وألفاظها ولغتها. رمزية العنوان هنا أباحت للشاعر التعبير الجمالي المكثف تجاه المحبوبة وتجاه مشاعره الرمزية العميقة في الحب لها، ولذا كان الحوار الوسيلة السردية المسيطرة على لوحات النص الشعري في التعبير عن المشاعر ورسم جماليات الصورة من خلال رمزية اللغة ورمزية المجاز، ونظر الشاعر شلال عنّوز من طرف خفي إلى بعض رمزية الاساطير ترفعه في ذلك ثقافته المتنوعة العالية. ورمزية العنوان جاءت في نصّه الشاعر(الدجّالون عدد الحصى)[62]، ولعلّ شاعرنا العراقي المعاصر شلال عنّوز استثمر دلالة اللغة الدينية ودلالة اللغة المكانية ومظاهر المكان الطبيعية كما يّخيّل للقارئ، فأودعهما نصّه الشعرية من خلال العنوان، وانفتقت لوحات النص الشعري هذا لتبيّن هذه الرمزية ولتبقي على مشاعر الشاعر الهاجمة على هؤلاء الدجّالين المتّشحين زي الدين وهم بعيدون عنه، والمتكلمين باسم الأخلاق والنزاهة والعفة وهو بعيدون ... وبعيدون... وبعيدون عنها كلّ البعد، كلّ البعد، وافعالهم توثّق ما قال، واعمالهم تصفهم بغير ذلك، والكلّ يعلم ذلك؟!؟! وهناك من العناوين التي حملت رمزية صفوية في اللغة والثقافة والدلالة في عناوين بعض نصوص الشاعر الشعرية في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء)، ومنها(لا صلاة إلا وحدتك)[63]، و(عالم ينصرف نحو ذاكرة التاريخ)[64]، وما فيهما من لوحات شعرية عكست ثقافة البوح الصوفي ولاسيما في بعض معطيات الروح ووهج الصلاة والتغزل بروح المغفرة وعشق الرب ودعواه للخلاص والنجاة، الرمزية هنا ومن خلال العنوان ادت وظيفتها الجمالية المتناسقة وابقت على مشاعر الشاعر في بوح وتصريح لكلّ ما يحيط به، ولكلّ ما يريد البوح به مستثمراً دلالة لغته الشعرية العالية وابعاد الفلسفة الصوفية في اللغة والمجاز والإشارات والترميز.

• خاتمة ونتائج البحث:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وبه أستعين،

كشف البحث في خاتمته هذه عن جملة نتائج، لعلّ أهمها:

• شلال عنّوز شاعر عراقي معاصر كبير له بصمته الأدبية الإبداعية في الشعر العربي المعاصر في العراق، بما ترك من دواوين شعرية مطبوعة وأخرى قيد النشر وهو يمارس النظم في الشعر منذ ستينيات القرن الماضي في أنظمته الإيقاعية الصوتية كافة من: الشعر العمودي، وقصيدة

التفعيلة، وقصيدة النثر، وحظي الشاعر وشعره بالكثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت شعره من المناهج النقدية المختلفة.

• أبان البحث بالتقصي وجمع الآراء للدارسين والباحثين والنقاد في الأدب العربي وفي غير مجال الأدب أن للعنوان أهميته التي لا تكرر ولا يمكن أن تتجاوز بالبحث والدراسة والتعليق والنقد، ولاسيما في النص الشعري الإبداعي إذ هو أول ما يصافح ذهن القارئ وعقله وسمعه وعاطفته، وما يثيره الإثارة النفسية العاطفية التي تجعله يتابع بشغف وإنصاف باقي لوحات هذا النص وما في هذه اللوحات من مضامين وأهداف ورؤى وافكار يريد الشاعر إيصالها إلى القارئ.

• كشف ومن خلال الدراسات والابحاث أن هناك وظائف عدة للعنوان وهذه الوظائف هي التي تحدّدُ وجهة النص الأدبي الإبداعي وتوجّه المبدع إلى ما يريد من هذا النص حين ينظمه ويشهره إلى القرّاء. وهذه الوظائف تأتي من جهة التقسيم والدلالة إلى اقسام منها ما يختصّ باللغة، ومنها ما يختص بالبلاغة، ومنها ما هو داخل مع مفهوم الشعر .قديماً وحديثاً.وبين وظائفه الكثيرة.

• أبان البحث عن ماهية الوظيفة الإنزياحية في شعر الشاعر العراقي المعاصر شلال عنّوز في ديوانه . موضوع الدراسة. (السماء لم تزل زرقاء)، وكشف عن وسائل الإنزياح المهمة التي جاءت من خلال البيان والمجاز في تشكيل عناوين النصوص الشعرية في هذا الديوان، وأهم المضامين والأهداف التي أوصلها الشاعر شلال عنّوز إلى قارئ شعره من خلال تلكم العناوين ووظيفتها الإنزياحية.

• أبان البحث بجلاء ووضوح ماهية الوظيفة النحوية وأثرها في البناء التركيبي لعناوين الشاعر شلال عنّوز في نصوصه الشعرية التي جاءت في هذا الديوان، والشاعر مثقف ثقافة نحوية بارعة عرف كيف يصفُّ مفردات عناوينه إن طالت بالجملة الفعلية أو الجملة الاسية أو شبه جملة، أو قصرت بالمفردة ومثيلتها، واستكناه طاقة اللغة التعبيرية من خلال النحو ليأتي العنوان من الأول دالاً على إحكام صنعة الشاعر وإتقانه للنص الشعري الذي ينظمه.

• كشف البحث عن أثر الوظيفة الانفعالية في رسم جماليات العنوان واستظهار دلالته في التعبير والأداء وربط العلاقة الحميمة التي تربط بين المبدع والمتلقي. وهذه الوظيفة مما أثارت ذوق الشاعر شلال عنّوز وجعلته يميل إلى كشف دلالاته وأهميتها لما يريده من نصّه الشعري في ديوانه(السماء لم تزل زرقاء) من أول عتبة، وغالباً ما تأتي هذه الوظيفة في القصائد الوجدانية الذاتية التي تحمل مشاعر الشاعر شلال عنّوز في الغزل والعشق، أو التي تحكي وفاءَه للوطن ومكانة الأم وما حدث فيه مما يعلمه الجميع ومما أشار إليه البحث أثناء الشرح والتحليل والنقد لنصوص الشاعر الكثيرة في هذا الغرض والاتجاه الشعري الوطني الصادق الخالص. ولا نبعدُ كثيراً عن هذه النتيجة إذا تكلّمنا عن وظيفة العنوان التواصلية وما جاء من عناوين الشاعر شلال عنّوز لنصوصه الشعرية التي حملت دلالة هذه الوظيفة ورسمت جمالياتها وما تأتي من أجله في النص الشعري العراقي المعاصر.

• وضّح البحث ماهية الوظيفة الرمزية من بين وظائف العنوان التي جاءت في نصوص الشاعر شلال عنّوز الشعرية في ديوانه هذا، وهو شاعرٌ اعتمد الرمز في بعض نصوص هذا الديوان من خلال العنوان مندفعاً إلى استثمار هذه الوظيفة تركيباً ودلالة ومضموناً بثقافته العالية في التاريخ والأدب والدين، ويحسن استعماله لمظاهر الرمز من مثل اللغة الشعرية، والمجاز، وبعض من الأساطير... فهو الشاعر المثقف الذي يعرف كيف يلج النص الشعري من أول عنوانه، وكيف يبنيه البناء التركيبي الدلالي المحكم إلى آخر كلمة فيه بما يعبّر عن مشاعره وافكاره، وبما يشاكل ما يريده من العنوان ويستثمر وظيفتها أنّى كانت... والحمد لله أولاً وآخراً.

• الهوامش والحواشي:

1. تنظر ترجمته وأخباره في: معجم البابطين: 616/2، التحف من تراجم اعلام وعلماء الكوفة والنجف:64/2، معجم المبدعين العرب:79/2-80، ادباء من بلادي:1/.248

2- منها دراستي عن اللغة الشعرية في ديوانه الشعري(وبكى الماء)، ودراستي عن أثر العنوان في التشكيل المعرفي الثقافي في ديوانه الشعري(الشاعر وسفر الغريب).

3- ينظر من هذه الدراسات: عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص:67، علم العنونة . دراسة تطبيقية: 30-41، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة:100... وغيرها.

4- علم العنونة- دراسة تطبيقية-:.42

5- هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل:11، وينظر: سيمياء العنوان:37، في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية:.76

6- سيمياء العنوان:67-.58

7- ينظر: جيرار جينيت من النص إلى المناص:69، علم العنونة-دراسة تطبيقية-:57-.59

8- هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل:11-.12

9- سيمياء العنوان:.37

10- ينظر: سيمياء العنوان:.58

11- سيمياء العنوان:50، علم العنونة-دراسة تطبيقية-:.55

12- ينظر: سايكلوجية إدراك اللون والشكل:78-.79

13- السماء لم تزل زرقاء(ديوان شعر):13-.14

14- م . ن . :13-.14

15- م . ن . :.33

16- م . ن . :.34

17- م . ن . :.60

18- م . ن . :.61

19- م . ن . :.63

20- ينظر: في نظرية العنوان:75، علم العنونة-دراسة تطبيقية-:.38

21- السماء لم تزلْ زرقاء(ديوان شعر):.86

22- م . ن . :86-.87

23- م . ن . :.25

24- م . ن . :.25

25- م . ن . :.25

26- دلائل الإعجاز:.135

27- السماء لم تزل زرقاء(ديوان شعر):.66

28- م . ن . : 66-.67

29- م . ن . :66-.67

30- م . ن . :107-.108

31- م . ن . :15-.16

32- م . ن . :.39

33- م . ن . :.40

34- م . ن . :44-.49

35- م . ن . : 118-.120

36- م . ن . : 83-.85

37- م . ن . : 41-.43

38- م . ن . : 26-.28

39- م . ن . : 57-.59

40- م . ن . : 50-.53

41- م . ن . : 18-.20

42- م . ن . : .68

43- م . ن . : 54-.56

44- م . ن . : .68

45- م . ن . : .68

46- م . ن . :.68

47- ينظر: علم العنونة-دراسة تطبيقية-: 67، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: 35-37، وتنظر مصادره.

48- ينظر: سيمياء العنوان: 28-30. في نظرية العنوان: .41

49- ينظر: الشعر والتلقي: 118، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: 17-.19

50- السماء لم تزل زرقاء(ديوان شعر): 35-.38

51- م . ن . : 35.

52- م . ن . :.35

53- م . ن . : .69

54- م . ن . : .105

55- م . ن . : .106

56- م . ن . : 101-.102

57- علم العنونة-دراسة تطبيقية-: 107، سيمياء العنوان: .71

58- السماء لم تزل زرقاء(ديوان شعر): .21

59- م . ن . :.22

60- م . ن . : 80-.81

61- م . ن . : 83-.85

62- م . ن . : 94-.98

63- م . ن . : 114-.117

64- م . ن . : 123-127.

• **ثبت المظان (قائمة المصادروالمرجع):**

• **القران الكريم .**

• **أُدباء من بلادي**، إعداد: عبد الرضا موسى السوداني، لارسا- بغداد، ط1 ، 2018.

• **التحف من تراجم أعلام وعلماء الكوفة والنجف:** أ.د. صباح نوري المرزوك، دار المتقين للثقافة والعلوم- بيروت، ط1، 1433هـ-2012م.

• **دلائل الإعجاز:** الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، وقف على طبعه وتصحيحه: الشيخ محمد رضا، دار المعرفة- بيروت، 1981.

• **سايكلوجية إدراك اللون والشكل:** قاسم حسين صالح، دار الحرية- بغداد، ط1، 1986.

• **السماء لم تزل زرقاء(ديوان شعر):** شلال عنّوز، دار أمل الجديدة- دمشق، ط1، 2017.

• **سيمياء العنوان:** بسام قطوس، وزارة الثقافة- عمان، ط1، 2001.

• **الشعروالتلقي:** د. علي جعفر العلّاق، دار الشروق- عمّان، ط1، 1997.

• **عتبات جيرارجينيت من النص إلى المناص:** عبد الحق بلعابد، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الأختلاف/العاصمة- الجزائر، ط1، 2008.

• **علم العنونة - دراسة تطبيقية -:** عبد القادر رحيم، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر- دمشق، ط1، 2010.
• **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد** فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة(د.ت.)، 1997.
• **في نظرية العنوان-مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية- :** د. خالد حسين حسن، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر- دمشق، (د. ت.).
• **معجم البابطين:** دار الخيام- الامارات العربية المتحدة، ط1، 1993.
• **معجم المصطلحات الأدبية:** د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1985.
• **هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل:** شعيب الحلفي، دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2005.